الواقع العربي المرير وأسئلته

د. شاكر النابلسي

ادت الاعتداءات الإرهابية للحادي عشر من ايلول ٢٠٠١ إلى إلى ترسيخ الصورة النمطية السلبية التي كونها الغرب عن الإنسان العربي ، وهي الصورة التي لا تخرج عن نطاق الإرهابي والمتعصب دينيا والمتخلف ، أي صورة الإنسان غير المتحضر. فما الأسباب التي أدت إلى نشوء هذه الصورة النمطية الجامدة لدي الغرب عن الإنسان العربي؟ هناك عدة أسباب لهذا الوجه العربي "القبيح" في المرآة الغربية ، منها:

١- أن الانسان العربي منذ أكثر من عشرة قرون، وبالتحديد منذ القرن التاسع الميلادي، وبعد عهد الخليفة المأمون، لم يقدم للإنسانية فكراً، أو علماً، أو ثقافة انسانية ذات قيمة. وظلت الثقافة العربية منذ ذلك التاريخ وحتى الآن ثقافة انغلاقية محكومة حكماً صارماً بتراث الأموات وبالأوهام والخيالات الشعبية.

٢- أصبحت الثقافة العربية الآن، هي ثقافة العنف والإرهاب. وهذه الثقافة لم تأت من أحد ولم تنزل من السماء، بقدر ما جاءت من داخلنا ومن ماضينا الممتد في حاضرنا، ومن انتصار الاتباع على الابداع، وانتصار الرواية على الدراية في تراثنا الأدبي والفقهي، وانتصار جهاد الآخر علي جهاد النفس العدوانية، وهو أجمل أنواع الجهاد. لقد جاءتنا هذه الثقافة العنيفة التي تقطر دماً من تقاليد الحروب والمشاحنات القبلية والطائفية وبطش السلطات الغاشمة قديماً وحديثاً. جاءتنا من ردود فعلنا الهادية على احباطاتنا الفردية والجمعية ومن جروحنا النرجسية سواء منها المنحدرة من هزائمنا أمام الغرب واسرائيل، أو الآتية من تربية أسرية قاسية كما سبق وقال العفيف الأخضر. والذي زاد من ضراوة هذه العوامل التراكمية عدم وجود قطيعة ديمقراطية فيها تؤسس لثقافة جديدة قوامها الحوار والسلام مثلما حصل في اليابان.

٣- غياب القطيعة الديمقراطية لعوامل العنف الدموي التراكمية جعل صدماتنا تتحالف مع موروثنا الثقافي لصياغة شخصيتنا النفسية صياغة ثأرية حولت أخذ الثأر في سلمنا القيمي إلى قيمة اجتماعية والتسامح والغفران والجنوح إلى السلم إلى وصمة عار وجبن وخيانة، والانفتاح على العالم؛ أي على استثماراته وقيمه تفريطاً في الهوية واقترافاً لـ "أم الجرائم" وهي التبعية للغرب.

ما أنجع الوسائل التي تمكننا من تغيير الصورة السلبية للإنسان العربي لدى الغرب؟

على الإنسان العربي أن يتغير وتتغير معه الأمة العربية. أن التغيير في الحياة العامة من نظم وقوانين ونواميس لن يتم إلا إذا غير الانسان قناعاته وأفكاره ومنهاج حياته. والقرآن قال: "أن الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بأنفسهم" (سورة الرعد، آية ١١) وكذلك: "ذلك بأن الله لم يكن مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتي يغيروا ما بأنفسهم" (سورة الأنفال، آية ٥٣). وهما الآيتان اللتان لقيتا صداهما في الفكر الغربي، وأيدهما كثير من فلاسفة الغرب وحكمائه. فقال ألفن توفلر: "مسؤولية التغيير تقع علينا". وقال جيم ولز: "العالم لن يتغير ما لم نتغير نحن". وقال أوسكار وايلد: " أن الذي يغير العصر هو نحن وليست المبادئ". وقال لودفيج وتنجتشاين: "أن أهم ما في التغيير هو تغيير سلوكياتنا". وقال هنري ثورو: "الأشياء حولنا لا تتغير، نحن الذين نتغير".

ويجب أن نلاحظ أن هناك تغييرين: التغيير الأصغر والتغيير الأكبر. التغيير الأصغر يبدأ حين تبدأ تزكية النفس البشرية؛ أي تطهيرها بالإيمان، وهذا هو التغيير الأصغر. وعندما تتطهر النفس تصبح قابلة للتغيير الأكبر وهو تغيير المجتمع كله. يقول القرآن: "قد أفلح من زكاها" (سورة الشمس، آية ٩). ويقول: "قد أفلح من تزكى" (سورة الأعلى، آية ١٤). والفلاح هنا هو نجاح قيام التغيير الأكبر الذي يتبع التغيير الأصغر، وهو التزكية. والقرآن يوجه كلماته إلى فرعون الذي طغى ورفض دعوة التغيير ويخاطبه بقوله: "هل لك إلي أن تزكى، وأهديك إلى ربك فتخشى" (سورة النازعات، آية ١٨،١٩).

وهذا يعني أن لا مجال لأن يُغيّر فرعون واقعه السيئ ويهتدي إلا إذا بدأ بنفسه فزكاها، وهذا هو التغيير الأصغر لكي ينتقل إلى التغيير الأكبر، وهو تغيير واقع مجتمعه السيئ.

ويجب أن ننتبه إلى أن التغيير على الأرض هو من صنع الانسان بالدرجة الأولى، وأن دور الله في صنع التاريخ يأتي بعد دور الانسان، "ذلك بأن الله لم يكن مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتي يغيروا ما بأنفسهم".

أن التغيير هو طريق الرُشد الذي نادى به الإسلام. والرُشد خلاف الغي؛ أي الاستقامة على طريق الحق. وهو هداية تغيير اليقينات السابقة. والإسلام أراد أن يقيم الرشد بالرُشد؛ أي أن يحدث التغيير السلمي العقلاني بالفكر والخطاب. لذا، فقد ركز الإسلام علي كلمة الرُشد وذكرها في القرآن في أربع سور هي : "الأنعام"، و"الشعراء"، و"مريم"، و"فاطر".

لا سبيل إلي التغيير الآن في العالم العربي، إلا بتبني الخطوات التالية:

١- انتاج الفكر النقدي، الذي يساعد على الانتقال من القطعي إلى المبرهن عليه، ومن المسلم به إلى المتناقش فيه، ومن القراءة العابرة للتاريخ إلى القراءة التاريخية للنص، لجعله في متناول العقل، ومتكيفاً مع متطلبات الحياة الاجتماعية.

٢- تبني القطيعة الجارحة مع التراث. فالحضارة الحديثة ابنة لثلاث قطائع أورثت الوعي الأوروبي ثلاثة جروح نرجسية: اكتشاف جاليلو لكروية الأرض، وداروين لنظرية التطور وفرويد للاشعور. وهكذا لم تعد الأرض مركز الكون، ولا الانسان مركز الكائنات، ولا العقل سيد بيته، بل اتضح أنه محكوم باللاعقل؛ أي اللاشعور. والتراث الديني يلعب دور الباغي الذي يردع ورثته عن التنصل منه ومن أوامره ونواهيه. كما أن التثبت العصابي في هذا التراث - كما تفعل الأصولية والسلفية - يغذي النرجسية الجمعية والمركزية الاثنية بوتائر عالية مما يجعلها تلعب دور العائق الذهني، كما يقول العفيف الأخضر.

٣- كسر المحرمات التي يحكم بها الأموات الأحياء، لأن المثقف تعريفاً هو مع الحداثة وضد القدامة، ومع العقل ضد النقل، ومع التجديد ضد التقليد، ومع الديمقراطية ضد التوتاليتارية، ومع حرية المرأة ضد استعبادها.

لقد اقترنت صورة الإنسان العربي في أذهان الغرب منذ اعتداءات الحادي عشر من ايلول بالإرهاب، وحصل ذلك على خلفية أعمال العنف التي تلجأ إليها جماعات إرهابية من حين لآخر والتي تستند فيها الى مرتكز ديني عقائدي، فهل هناك ما يسوغ أعمال العنف في الإسلام؟

ليس هناك ما يسوغ أعمال العنف في الإسلام وبعض العرب لم يعودوا مسلمين الآن ولا علاقة لبعض العرب وارهابهم اليوم بالإسلام الصحيح .

أصبح بعض العرب اليوم بلا دين. فلا دين لبعض العرب.

وبعض العرب أصبحوا اليوم غير موحدين، وغير مؤمنين بالله ايماناً صادقاً.

لا يغرنّك هذا العدد الضخم من المساجد، وهذا العدد الضخم من المصلين والحجاج في العالم العربي، وهذه الكميات من أموال الزكاة والصدقات. فهذه طقوس اعتاد عليها العرب في الجاهلية الأولى، وهم الآن يعيشون الجاهلية الثانية. فالعرب لا يشكلون غير ١٩٪ من مسلمي العالم، ومع ذلك فهم الذين أقاموا العالم ولم يقعدوه على رأس الإسلام بتصرفاتهم الدموية وبعنفهم الموروث عن عصبيتهم، وليس عن دينهم، هذا العنف الذي لا يمت إلى أي دين من الأديان بصلة.

أوراق

هادي الربيعي

ورقةً
ورقة
تتناثرُ الأيام
يتأملِ
آخرَ الأوراقِ
وهي تترنح رويداً
رويدا
في الهواء
حتى تستقرَّ
برفقِ
فوقَ السمادِ الإلهي
غداً سوفَ يهطلُ المطر
وتتحللُ الأجزاء
وتتلاشى
غداً
سوفَ يأتي طفلَ
ويقفُ في هذا المكان
ويقطفُ زهرةً حمراء
يحملها
ويعدو إلى أبويه
يأخذانِ الوردةِ
ويمضيانِ يداً بيد
والطفلُ يعدو
أمامهما ضاحكاً
وهذا هو عزائي
الوحيد .

المعدان أول الأبجدية.. وقافية القصيدة العراقية الناقصة

د. بُرهان شاوي

المعدان، أول حروف الأبجدية العراقية، وقافية القصيدة العراقية الناقصة. إنهم السراة في الليل، وأبناء الحقول في الفجر والضحى. رعاة العزلة عند الظهيرة، وحاملو حليب الليل على رؤوسهم المليئة بالحنين والأحلام عند المغيب.

المعدان، نشيد سومر الحي عبر العصور، وترجيعات فحيح آنانا الشبق، وأصداء حممة انكيدو وحش الجبال، إنهم جواميس السماء، وحماة الحزن العراقي الأصيل.

المعدان، اللون العراقي الأزرق، القادمون من متاهة التاريخ، والماضون الى متاهاته الأبعد. لم ينصفهم كتاب، ولا وقفت عند احزانهم قصيدة. سُرقت أساطيرهم ودُمرت ذكرياتهم، ولعنت جواميسهم، وحطمت قوانينهم التي سرقتها آنانا حينما حضرت عرسا في السماء.

إنهم أبناء سومر الراقدة في الذاكرة والمجهول، العراقيون الأصيلون، ذوو الرؤوس السود. الهابطون من السماء، القادمون من الهند، ومن بيشتكو، ومن المجهول، الطالعون من أعماق الأهوار، الهاربون من طغيان الخلافة، الثائرون مع الزنج، أحفاد انكيدو، وعشاق آنانا، وجواميس السماء.

المعدان، لم يرحمهم القانون ، ولم ينصفهم التاريخ. تعالت الأخلاق عليهم، ولوثت ذكرهم الضمائر المريضة، وبرغم كل هذا وذاك، فهم الحاضرون برغم وحشية الغياب والنسيان، فهم البدء برغم زعيق الإدعاءات القومية الفارغة، وهم الماء والهور والخضرة والخضيري والقصب، وهم رواة الحنين العظيم للطيران على ظهور الجواميس الى مراعي السماء.

إنتبه لهم عبقري الفن العراقي جواد سليم فخلدهم في أعماله، وتبعه آخرون، فكان حضورهم واضحا في التشكيل العراقي الذي منحهم اسماء اخرى خجلا من ذكرهم. وكما قلت فان الشعر العراقي تنكر لهم، برغم انهم رفدوا الشعر العراقي والأدب العراقي باعظم ملحمة في تاريخ الأدب العالمي، ورغم ان بين الشعراء العراقيين من جاء من بين ظهرانيهم وبقاعهم وأهوارهم . ولم يتجرأ على منحهم جواز سفر للدخول الى باحة الأدب العراقي سوى الكاتب العراقي وارد بدر السالم الذي كتب عنهم مجموعة تُعد من النقاط المهمة والمثيرة في الأدب القصصي العراقي في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، بل إعتزازا بهم منح مجموعته إسم (المعدان).

الأعوج بن العوجة، القادم من العوجة، حاول إذلالهم، والقضاء عليهم، ومحومهم من الوجود، لكنه لم يكن يعرف شيئا عن جغرافية العراق، ولا عن أرضه وخيراتها، فهو لم يعرف شيئا عن القصب الذي مهما قصصته تبقى جذوره حية، ولم يعرف شيئا عن الأهوار وأسرارها.

العراق الجديد إنحنى لهم، فانقذ الأهوار من موتها المرسوم بكل حقد البعثيين القتلة الفاشيين، لكن خطواته ما زالت قاصرة، فدين العراق للمعدان كبير وكبير، وعلى القانون القضائي العراقي ان يتشرف بمنحهم وضعهم الانساني الحقيقي، وعلى التعليم العراقي ان يتواضع وينسحب قليلا جانبا لكي يفسح الطريق لهم ولكل المستضعفين العراقيين كي ينشدوا معا نشيد العراق الجديد. على التاريخ ان يفتح صفحاته لهم، ويخط تاريخهم بالوان زاهية.

شخصيا، لا أستطيع إستعادة ذاكرتي دون حضور المعدان البهي فيها، لا أستطيع أن أستعيد ملامح الكوت دون حضور بائعات (الروبة) الرائعات

لا أستطيع إستعادة خارطة المدينة وشوارعها دون التوقف عند ساحة سيد حسين وحديقة علي حيوان فتحية لوصف المعيدية جارتنا العظيمة وصف التي يعرفها أهالي الكوت القدماء تحية لأبنائها صباح وحميد وزعومي وأبنتها سلامة تحية لأمها هويشه..

تحية لمعدان الكوت.. والعمارة

تحية لأول الأبجدية العراقية

تحية لقافية القصيدة العراقية الناقصة.

تحية للعراق الجديد.

الدورة الرابعة عشرة لمؤتمر الوزراء والمسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي

متابعة- بهاء الجنابي

بدعوة من عاصمة الثقافة العربية صنعاء ترأس السيد جابر الجابري وكيل وزارة الثقافة الوفد العراقي الذي ضم كلاً من السادة كامل شياع عبد الله المدير العام لدائرة العلاقات الثقافية، الدكتور فؤاد حمه خورشيد المدير العام لدار الثقافة والنشر الكردية والسيد مجاهد ابو الهيل مدير مكتب وكيل الوزارة والسيد احمد زكي محمد سكرتير اول وزارة الخارجية وكان باستقبال الوفد اعضاء السفارة العراقية في صنعاء والسيد خالد الرويشان وزير الثقافة والسياحة اليمني. وكان للوفد العراقي حضور مميز وفعال حيث اتسمت كلمة السيد رئيس الوفد بالأهمية بما حملته من عتب شديد على الدول العربية لما تتعامل به من فتور وتشكيك مع متغيرات العراق الجديد . وجاء في كلمة الجابري: اننا لسنا بحاجة الى ان تغسلوا العراق بالدم العربي وانما بحاجة الى ان تغسلوه بالماء العربي. وحول محاصرة الإعلام العربي للعملية الانتخابية في العراق وتشويهها قال رئيس الوفد العراقي ان العراق مقبل على عملية انتخابية نزيهة خالية من لعبة الـ ٩٩٪ وتسعة بالعشرة وان هذه اللعبة ما عادت تنطلي على أحد.. وكانت لرئيس الوفد واعضاء الوفد العراقي حوارات وسجالات مع الوفود العربية والإعلام العربي.

تشكيلية النص .. نأياً عن التجنيس الأدبي

قراءة في (نجوم الظهر) للشاعر اللبناني يحيى جابر

زيد الشهيد

تنبني أبجدية النص على أساس الكتابة التي تتوخى إيصال هدفها إلى ذائقة المتلقي بطريقة مراوغة تحمل صفة الغواية الدفينة بغية الإقبال عليها بعينين منفتحتين وقلب موارب للتقبل . وخالق النص لا يتوق من إبداء نصه طرح الرؤية فقط ، إنما الإيمان والتأثر بها من قبل المتلقي ، حيث تصبح مبعث أسئلة متوالدة لديه تدفعه للسعي إلى خلق إجابات على أسئلة متماهية مع مظهرية النص وخيلائه .

يغدو النص رسالة تحمل مبررات طرح ووسائل تأثير منبثة من لدن الناص . يغدو الناص رسولاً ، له طريقته في الطرح ، ومساع في التأثير .

ولأن النص في حقبتنا الحالية - في الأقل - امتلك صولجان تقبل ألأجناس وصار يرتدي الشعر ويعتمر القص ويتعكز على الخاطرة فقد انفتحت أمامه أبواب القول على سعته . وصارت هويته شاملة لا اعتراض على محمولاته . انطلق مستفيداً من هذا التوجه ، معتمداً التجريب كسياق للتجاوز على المألوف . فالأدب كما يقول (عزرا باوند) (يموت بدون التجريب المستمر). والتجريب كأحد أوجه الابداع خروج على المألوف . والخروج بطبيعته يثير الانتباه والتوقف ، ثم التساؤل ، ثم الدخول في مهمة سبر الغور والبحث عن ماهية الجديد في خطى التجريب واستحداث ما لم يوجد من قبل .

من هذا التصور انطلق الشاعر اللبناني يحيى جابر يصيغ نصوصه ، جامعاً إياها برؤية أطرها بكتاب عنونه بـ(نجوم الظهر) كظاهرة مخالفة للظواهر المتبعة المألوفة . وهو استهلال عنواني يستفز المتلقي من أول رسوه على مرفأ إنتاجه ، ويفاجئه بخلو الغلاف من إشارة التجنيس بتوجيه إلى أنه سيقرأ نصوصاً شاملة .

فالمجموعة إلتي ضمت (١٥٥) صفحة حوت نصوصاً ترتدي طابع السرد ، وسردية يفوح منها أشذاء الشعر ... الشعر فيها مغامر وجسور . والنثر هاتك فاتك ، لا يرتضي الألفة مع السائد بينما يجانب القول الآيل إلى التهلكة .. إنه الرافض المعارض بدفين فلسفي يعطي سر الإنسان ووجوده الأولي كوجه من أوجه المتحرر على طبيعة وهبته صفة الحرية فقالت له قل ما تقول . لكن الإنسان أوجد بدافع النزعة التسلطية قوانين وأنظمة ترسخ الهيمنة وتزرع التفاوت الطبقي . فانحسر فيض الحرية لصالح انبثاق المحرمات . وقل نطاق الشجعان الذين يقولون بلا خشية . ويحيى الشاعر في هذا المضمار الكتابي يتمتع بشجاعة تقف في وجه المتصيدين لذيول الأخطاء فلا يأبه . يقول ما يأتي على لسانه ولسانه يأتي بما هو دفين خبأته أخجال الطفولة لأعوام نائية غدت . وطمرته تهالكات صدمات الفتوة على أمل زوالها ، فهل انجلت ؟

هذه الصفة التي تتعالق بها ذات الناص، وأقصد صفة الإفضاء بلا مواربة (صفة القول ببراءة طفل لم يتعلم الخوف من عين تتوعده بالعقاب الصارم وملامح تشي بعصا الأذى التي ستطاله) صفة الشجاعة التي ترى أن ما سيقوله الروح لن يرضي الكثيرين لكنها لا تبتئس ، ولا ترتهب ، ولا تخنع ... هذه الصفة جعلت من النصوص التي نقرأها تأخذ طابع الصدق وتجاهر به، وجعلتنا نرى فيها أنفسنا المبتلاة بالتردد من الإفصاح والخشية من القول الصحيح الصريح .

لا يمكن أن نقرأ يحيى جابر مقتطعاً ، وليس لنا قدرة التمييز بين نص وآخر ، لأن نصوصاً كهذه برغم انفصالها بعنوانات ترمز لها تظل مقاطع لخطاب طويل تكفل بعرض إرهاصاتنا المتينة مسبقاً ، وخيباتنا المتهالكة لاحقاً .

بوحنا الصامت وشكوانا الصائت/ جلدنا الزائف وبكاؤنا الخجول . نصوص تراوغ وأخرى تناور لا لكسب الرضا انما لكشف العورات.

يتناول يحيى مواضيعه اليومية من حياتنا اليومية ينزع قشرة الخجل من جسد صرامته ويرمي بقناع الاتزان الزائف ليقول هاكم وجهي تطلعوا على سحنتي الحقيقية لأنها سحنتكم . لماذا تتوارون خلف صبركم الناضب وعرضكم المنهتك أيها الفقراء .. يا أمة ضيعتكم المتاهات المرسومة بإتقان وطمرتكم اللافتات من كل حدب واتجاه .لا يمكن تجاوز السخرية المدافة بالمرارة بمجرد تجاوز نص ما لأن بنية النص لدى يحيى جابر تخطط هندستها وتسطر آجراتها ، وترتفع بتراكماتها على أساس السخرية .. وبتأثير السخرية هذه تأخذ موضوعات النص أشد أهمية وترسخ أكثر جدية سيما وأنها موضوعات تتفاوت وتنتقل على سلم الحياة اليومية بمساسها الاجتماعي والنفسي والسياسي ، والمهني حتى . فهو يعرض لمختلف شرائح ونماذج الإنسان العربي المبتلى بين تابوات تخلخل توجهات أفكاره وتطيح بهيبة طموحاته من جهة، يضحك فينهر ، ويُكشر في وجهه الآخرون محذرين متوعدين أن ما بعد الضحك بكاء . وبين معاناة يعيشها نفر غير قليل في العالم الحضاري الذي وجد العربي نفسه لا يعرف تسلسلاته ولا يتوازن وقوانينه . فهو يتصرف بعقلية من كان في بلاده يسرق فتقطع يده . يخاف العقاب الوحشي من الغرباء ، لكنه يكتشف أن الغرباء أرحم عليه من أبناء جلدته :

(ذلك النهار نشلتُ معطفاً نسائياً من الفرو وقلت هذا هدية لأمي لكن حارسة المخزن ألقت القبض عليّ فتكومتُ مبللاً بالخجل كعصفور، ووجدتها تقول لي : (أنت يا فتى العرب . هنا لن نقطع يدك كما في بلادك) فاحمرت وجنتاي)

فالمثقف الذي ابتلي بصراحة القلم وصرامته يجد نفسه محاطاً بتابوات التحذير والتشطيب والمحاسبة اليومية . والكاتب الذي يخلق نصاً للنشر لا بدَّ أن يخضع لمختلف أشداق المقصات حتى تغدو لكثرتها مساهمة فاعلة في تغيير فكرة النص وموضوعه ، بل الأخذ به إلى المتاهات والطلاسم :

قال لي : (يجب أن ترمز ، وتكثف ، وتحذف هذه المفردة ، وتلغي تلك الصورة . وتضبط ذلك الإيقاع ، وتمحو هذا العنوان) .. ولأنني طيب القلب صدقته فأصبحت قصيدتي غامضة عني وعن أوجاعي .وعندها علمت واكتشفت وأيقنت لماذا كل القصائد والقصص والمسرحيات والمقالات المنشورة هي عبارة عن طلاسم وأحجية تصلح لوضعها على الزند لاتقاء الحسد ووجع الأضراس.

نص على باب الخليج ص٤٨

ولم يقتصر بناء الجدران وعلوها أمام نظر الكاتب في الظاهر الواضح أمامه في العمل والبيت والشارع وينتصب الرقيب له في كل الأماكن، إنما ينبثق هذا الرقيب أيضاً في الدواخل والأعماق . ينبثق محذراً ومتوعداً (ينبثق راجياً ومتضرعاً) ينبثق مذكراً بأحداث قاسية مرت عليه وعلى غيره من أمثاله . ينبثق تارة سياسياً قامعاً يلوح له بالهراوات ، وبقناني ثقب المؤخرات ، ومفاتيح السجون وهي تصطك فتصدر صليلاً مرعباً ، وتارة أصولياً إرهابياً يعده بالقتل ذبحاً ، وتارة عرفاً اجتماعياً يحذره من تجاوز المعهود ، وتارة .. وتارة .. وسيلاً من التارات، حتى لتغدو المقالة بناءً كتابياً مفككاً ... هذا الطرح الذي حواه النص الجزء الأخير من نص (محاولات في كتابة الإلياذة) يعرض حالة الكاتب العربي الذي يجد وجوده مربكاً ومرتبكاً تنزرع الألغام تحت حافة قلمه ، تنفجر أمام وجهه في أية لحظة يجد فيها الراصد لكلماته خروجاً عن الأعراف المتوالية / اللامحدودة :

(أنا الآن على استعداد تام للكتابة / صرت وحدي تماما ، وهدوء شامل في الغرفة والعالم / كتبت . خرطشت . خربشت . حبّرت . كانت الكلمات كشلال يتدفق ولم انتبه للزمن حتى أنهيت مقالتي . / فجأة .. خرج احدهم وقال لي أنا الرقيب السياسي : احذف هذه المفردات) رئيس .. ملك . أمير . جنرال . (وأيضا هذه الكلمات (ثورة .. حرية .. ديمقراطية ..) فصرت اشطب خوفا من كاتم الصوت.

الناص يحمل هموم المثقف وينوء بهروب الأفكار التي تسببها وطأة الحياة اليومية بتفاصيلها المرهقة والمجهدة حد أن يتخلى الإنسان المحمول بالوعي الزائد عن رداء الصبر فيتعرى بالكلمات. إن المبدع دائما في حاجة إلى بيئة تتآلف مفرداتها مع تفاصيل الكتابة بدءً من انبثاقها كفكرة إلى تمثلها وجوداً، ثم صبها لتعرض كيانها اكتمالاً أمام ذائقة المتلقي. إنّ إرهاص الوعي والمخاض الانجازي والشعور بارتياح النزوع حالات لا يقدرها الإداري في مؤسسة النشر ولا يساور الفني فيها إحساس بأنّ منتج النص قد مرّ بمعاناة واحتراقات وذوبان جواني كي تمتلىء الأوراق ويظهر الموضوع الذي يقف أمامه بغية إجازة النص ونشره.

(تناهت إلى سمعي أصوات شتائم مخففة في العلن : أنت مدلل زيادة عن اللزوم ، هذا ليس شغلاً . هل ستكتب الإلياذة يا هوميروس العرب ؟ ...كانوا كلهم بانتظاري لتحرير مقالتي ، وأنا انتظر من يحررني من الكتابة.

سيناريو ذاتي يحمل تفصيلات القلق الذي يساور خالق النص ويدفع به إلى محفات الهوس والانسلاخ عن المحيط الذي يتحرك في فضائه كمخلوق تائه ، لا يعرف أين يسير ولا يفقه صدى الخطوات . إنه مجنون بفكرة لا تأتيه كسهم خارق لتستحيل أمامه كيانا ناهضاً، بل تتجمع كنتف سمنه في جراب مغلق مليء بلبن رائب يحتاج إلى اهتزازات ورج متوالٍ كي تلتم لتستحيل كتلة زبدة جاهزة للتناول . وهذا ما لا يريد الإداري فهمه ، أو هو في الواقع يتجاهل المعاناة ولا يهمه من الأمر سوى أن يرى نص الكاتب أمامه ليدفعه محققاً عملاً إداريا يسمه بالنجاح ويتقاضى عليه المرتب المرسوم . وحين يجد الكاتب نفسه محاصراً بين البحث عن فكرة تجعله مقبولاً في نظر قرائه ومريديه ومن يتابع إبداعه، وبين طلبات رئيسه في كتابة يملأ بها حيزاً من الصفحات يساوره القلق حتى وهو في بيته بين الزوجة والأولاد ، بين الأشياء والموجودات ، بين النظر إلى رفوف الكتب أمامه لعلها تسعفه بفكرة يرميها مؤلف ينام بين أوراق كتابه:

(نهضت وجلست إلى جوار زوجتي نتفرج على التلفزيون ، والتلفزيون يتفرج علينا . صرت اقلب المحطات ، القناة الأولى تعرض حفلا جماهيريا لمايكل جاكسون ، والقناة الثانية تنافسها بمقابلة ملتهبة مع مادونا .. لمعت الفكرة في رأسي).

إنّ الناص يدنو من هياج اللحظة بالتزام القضية الفلسطينية بتفاعلاتها السياسية كهمّ لا يزول من صدور العرب والمسلمين ، وأمر أخذ من الكثير بفعل لا جدية الحلول وتفاوت المراكز وتعليق الاخطاء على شماعة القضية وتعدد بطولات ادعاء تحرير فلسطين . وفي الوسط الأدبي رأينا طوابير الشعراء تهتف لفلسطين وتتحمس لها وتطالب باعداد العدة والقوة للقتال وعودة الارض السليبة . لكن هذا التحمس يجري تحت لافتات السلطات التي تتركه يصرخ .. ويصرخ . والشاعر هنا ، في (نجوم الظهر) يخرج من السرب لا لكي يملأ الدنيا ضجيجاً وحماساً يتأسى عليه انما ليضع الكلمات على الاسطر ، ويطلق بصريح القول نصين . أولهما (استسلم) والثاني (لا اصالح) وهما يطرحان مشروعاً تكون فيه الصراحة / النكوص أكثر شجاعة من الانزواء / التباري ، والمجاهرة بالاستسلام لدى الشاعر -المنظر- أجدى نفعاً من المصالحة .. لماذا ؟ .لأنّ البداية الصحيحة أفضل من سلوك الدرب الخاطىء.